شعرية الشتات في قصيدة "أمنا" لمريد البرغوثي.

Diaspora poetry in the poem ¨our mother¨ by mourid barghouti

سابق زليخة*
جامعة العربي بن مهيدي (الجزائر)
zizozoulikha577@gmail.com

د.آمنة أمقران
جامعة العربي بن مهيدي (الجزائر)
amina-amokrane@univ-oeb.dz

مخبر تعليمية اللغة العربية والنص الأدبي في النظام التعليمي الجزائري الواقع والمأمول

تاريخ الارسال2024/05/28	تاريخ التقييم2024/12/07	تاريخ القبول2024/12/15

الملخص: لقد غدت النصوص الشعرية الحداثية، تجربة خصبة في عالم التأويل والتلقي، وذلك لما لهذه التجارب من فعالية في تخصيب النوع الشعري، والرقي بهذه التجارب إلى إنتاج حداثة تؤسس لرؤية جديدة، وفتح آفاق رحبة ورؤى مغايرة للواقع ومريد البرغوثي واحد من هؤلاء الذين أسسوا لهذه الرؤية الشعرية المتحولة، من حيث الدلالات والبنى والرؤى المثقلة بخصوصية التجربة وأحادية النظرة للعالم والأشياء.

كلمات مفتاحية: الشعرية؛ الشتات؛ النقد؛ الحداثة؛ التأويل؛ التلقي.

Abstract Modernist poetic texts have become a fertile experience in the world of interpretation and reception, because of the effectiveness of these experiences in enriching the poetic genre, and upgrading these experiences to the production of modernity that establishes a new vision, and opens wide horizons and visions different from reality. Murid Al-Barghouti is one of those who established this poetic vision Transforming, in terms of semantics, structures, and visions burdened with the specificity of the experience and the one-sidedness of the world and things.

Keyword :poetic; diaspora; criticism; modernity; interpretation; reception.

*المؤلف المرسل:

1. مقدمة:

تعد ظاهرة الشتات في الشعر العربي المعاصر سمة الكثير من النصوص الشعرية التي تعد بدورها فضاء تخييليا فاعلا في تحريك الأنساق على اختلاف مستوياتها، وذلك لما يتميز به الشعر عن الأجناس الأدبية الأخرى، كما أن الذات الشاعرة تسعى دائما لتجاوز المألوف والسائد، وذلك من خلال خلق فضاءات جديدة داخل الجنس الادبي.

ولأن الشتات كتجربة عاشتها الكثير من شعوب العالم، إلا أنه كمصطلح ارتبط بالفلسطينيين الذين هجروا وأبعدوا ليعيشوا مشتتين عبر اصقاع العالم خاصة بعد نكبة 1948 التي تعد علامة فارقة في تاريخ الشعب الفلسطيني.

لذلك عمد الكثير من الشعراء الفلسطينيين إلى تصوير هذا الواقع عبر هذه التجربة ضمن نصوصهم الشعرية الحداثية التي تركت بصمتها في الشعرية العربية الحديثة، حيث كان للتجربة حضورها القوي، وبصمتها المتفردة على يد الكثير من الشعراء الفلسطينيين، ومن بينهم الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي (1944_2021) الذي عاش تجربة الشتات عبر الكثير من قصائده التي تعبر عن النأي عن الوطن الأم (فلسطين)، وقصيدة (أمنا) هي إحدى قصائد مريد التي تنم عن ألم التجربة، وبالتالي التأسيس لتجارب فذة في المشهد الفلسطيني المعاصر.

كما تعد قصيدة (أمنا) نصا ينضح بالرؤى الدالة على واقع متصدع، يحاول من خلاله الشاعر منح النص بعدا دلاليا، ليتحول النص من كونه نصا شعريا إلى نبرة يعلوها أنين الذات الشاعرة التي ترجمها لغته الشعرية التي تنم على قدرة التركيب والدلالة لتمنح النص الشعري أبعادا أخرى، وذلك لما تتضمنه هذه الأخيرة (اللغة) من أساليب تمتزج فيها الكثير من المؤثرات الخلاقة، التي تمد النص الشعري بطاقة شعرية خلاقة أيضا، حيث تعد اللغة في الشعر ابتكارية، انزياحية تتجاوز المألوف بواسطة المعنى الدلالي المراوغ، فتصطبغ القصيدة حينئذ ببلاغة المعنى وتكثيف الدلالة، لتتجاوزا لتنميط وتلبس بذلك قناع الكشف والتجاوز، وهذا ما يؤسس للتفاوت الابداعي في النصوص الشعرية التي تتفاوت في درجة شعريتها وفاعليتها الجمالية، وذلك عن طريق عقد ذلك القران بين النص والقارئ

،الذي يحاول أن يلج إلى أعماق النص لاستنكاه أغواره ونص "أمنا "لمريد البرغوثي، هو واحد من هذه النصوص التي نحاول من خلاله الكشف معا عن جوانب هامة من الظواهر الأدبية التي تتضمنها شعرية النص، فيكون القارئ بحاجة ملحة لإبراز هذه الصور الفنية المفعمة بقوة الإيحاء وكثافة الدلالة.

ولعل اختيارنا "لشعرية الشتات "في هذا النص لم تكن من باب الصدفة، وإنما طبيعة النص هي من تفرض علينا أن نولد مع النص لإنتاج الدلالة وتوليد المعنى، ولأن لكل نص خصوصيته الأدبية التي تضمن له تفرده وتميزه، فإن نص "أمنا" لمريد البرغوثي يطفح بالشعرية، وذلك من خلال نزعة الذات الشاعرة إلى الاختلاف في الرؤيا والتشكيل، وذلك من خلال المستويات التعبيرية التي لها فاعليتها الواضحة في تحميل الجمل رؤى جديدة ودلالات متجددة، تنزع الى التميز والاختلاف. والتي تتحقق دلالتها كلما اقحمتها الذات الشاعرة ضمن ذلك التلاحم النصي، الذي يبحث في جوهر الدلالة وتشظي المعنى، وعليه نحاول ان نطرح الأسئلة الاتية: ما الشعرية؟ ما معاييرها في النقد والأدب؟ وما مدى نجاعة آلياتها في كشف الدلالة وتوليد المعنى في هذا النص؟

فرضيات البحث:

• الشعر الفلسطيني المعاصر هو صورة تعكس هواجس الشاعر الحداثي وتصور الواقع الفلسطيني لذلك فإن الشاعر مريد البرغوثي لجأ في هذه القصيدة إلى تصوير هذا الواقع عبر قاموس لغوي يترجمه عمق التجربة الشعرية الفلسطينية الحديثة.

• الشعرية كمصطلح نقدي رغم تعدد مفاهيمه ضمن الدراسات النقدية القديمة والحديثة إلا أنه مصطلح فضفاض انزلاقي الرؤى والدلالة، تختلف درجة الشعرية فيه من نص إلى آخر ومن شاعر إلى آخر ومن زمن إلى آخر. وهو ما يدل على تطور المصطلح على امتداد المراحل الشعرية.

أهداف البحث: نهدف من خلال هذا البحث إلى ما يلي:

• بما أن الأدب والنقد هما وجهان لعملة واحدة، فإن الغاية من النقد هو تحديد عناصر القيمة الجمالية في النص الأدبي، وهذا ما تعبر عنه الشعرية، لذلك فإن من أهداف

هذه الورقة البحثية هو استنباط المعنى من خلال الوقوف على الصور الفنية التي تحدد هوية النص الشعري.

نهدف أيضا من خلال هذه القراءة إلى تسليط الضوء على عنصر اللغة، ذلك لأن الشعر هو اشتغال على اللغة بالدرجة الأولى خاصة وأنها أداة الشاعر في التشكيل والتركيب، حيث نحاول استنباط مستوياتها في شقها الانزياحي والتي خلقت ومضة الجمالية في هذا النص.

منهج الدراسة:

أما عن المنهج المتبع في دراستنا هو المنهج التحليلي الوصفي، الذي نراه مناسبا لهذه الدراسة، وذلك بالاعتماد على أدوات التحليل والوصف التي عمدنا فيها إلى تفسير بعض الظواهر اللغوية وما تتضمنه من تراكيب نحوية وصرفية وفقا لشواهد وقرائن تتعلق بمختلف الصيغ والتراكيب المدعمة بعملية إحصائية للأفعال، والحروف، والظروف وربطها بعاملي الزمان والمكان

2. مدخل إلى الشعرية:

لقد نالت الشعرية حظها من الدراسات النقدية حيث توالت عديد المحاولات النقدية لإزالة اللبس والغموض عن هذا المصطلح الذي ما فتئ يغري النقاد والدراسيين لفك ما يشوبه من ضبابية وتعقيد. فرغم أنه مفهوم يصب معناه في القوانين العلمية التي تحكم أدبية النص، إلا أن هناك تفاوت في الرؤى واختلاف في الاستنتاجات حول هذا المفهوم. حيث "لا تسعى إلى تسمية المعنى، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل... فالشعرية إذن مقاربة للأدب " مجردة" و "باطنية" في الآن نفسه"

[1]

ولعله من باب الإنصاف في الدراسات النقدية أن جعلت من كتاب" فن الشعر" لأرسطو الارهاصات الأولى لميلاد هذا المصطلح، حيث عد اللبنة الأساسية والمرجعية التاريخية الأولى لإرساء قواعد كفيلة بتطوير هذا المصطلح النقدي، حيث أعلى أرسطو من فن الشعر دون

الفنون الأخرى، لارتباطه بالإنسان والقيم الروحية والمواقف الإنسانية تجاه العالم والأشياء.

حيث يرى أن الحكم على العمل الشعري "يعتمد على نوعية تأثيره في إنسان يحظى بعقل سليم وتعليم جيد، وليس من الضروري أن يكون خبيرا أو متخصصا[2] "

ولعلنا نلاحظ أن أرسطو يلغي التخصص، ويكفي تأثير الشعر في المتلقي الذي تتوفر فيه الفطرة السليمة، والتعليم الجيد، فنوعية الشعر تتحقق بجودته وبالتالي تحقيق المتعة، كما أن أرسطو يقوم بتقسيم الشعر إلى عدة أنواع: أساسها، الملحمة والتراجيديا والكوميديا، ويستثنى الشعر الغنائي، أو ما يعرف بالإنشادي.

وقد أسهمت الشعرية العربية إسهاما واضحا في بلورة هذا المفهوم في شكله الحديث والمعاصر كحازم القرطاجني الذي يعد من أبرز الذين تعرضوا لهذا المفهوم، ومدى تأثيره في النص الأدبي، حيث نستطيع أن نقول أنّ مفهوم الشعرية عند القرطاجني وصل مرحلة من النضج والاكتمال النقدي حيث "استطاع حازم أن يستنطق النصوص الأدبية بعقل واع، وذوق رفيع، ليحدد بصورة شمولية القوانين والنظم التي تتولد منها شعرية النصوص، ثم يصوغها لنا في شكل نظرية يتم الارتكاز عليها في إنتاج الشعرية من ناحية، وتحليلها وكشف أبعادها من ناحية أخرى".[3]

1.2 شعرية العنوان:

يعد العنوان من العتبات النصية التي خصها النقاد المحدثون بأهمية بالغة، وذلك لما لها من أهمية في النص الشعري الحديث، وذلك من أجل فك شفرات النص، حيث ظل العنوان ركيزة أساسية و مفتاحا إجرائيا لفك الأنساق الإبداعية للنص الأدبي عموما، والشعري بصورة خاصة، وذلك لما يمثله في إثراء الفضاء العلا ماتي الذي يزخر به النص الشعري ذلك لأن" فاعلية الذات/ المتلقية هذه، ستنصب أول ما تنصب على "العنوان" الذي يمثل أعلى اقتصاد لغوي ممكن، وهذه الصيغة على قدر كبير من الأهمية إذ أنها في المقابل ستفرض أعلى فعالية تلق ممكنة"[4]

إذن فالعنوان هو مرآة النص وهو باب الولوج إلى المتن، وهذا بدوره يتطلب وجود قارئ يتفاعل مع هذه البنية التي تعد عنصرا قائما بحد ذاته، خصوصا في النقد الحديث. ذلك أن العنوان يمثل أعلى اقتصاد لغوي ممكن في النص، وهي في الحقيقة خصيصة من خصائص اللغة التي تعبر بالحدود اللغوية القليلة عن المفاهيم المعرفية الكثيرة.
لذلك نحاول في قصيدة" أمنا" اختبار فاعلية الشعرية وما تمثله من قوة في تعميق المعنى وتكثيف الدلالة.

أ. العنوان:

وكما أسلفنا الذكر أن العنوان من المتوازيات النصية التي لها أثرها في المتن. والتي خصها النقاد بدراسات نوعية من أمثال تودوروف الذي يقول عن الشعرية أنها "لا تعنى بالعمل الأدبي في حد ذاته ولكنها تعنى بخصائصه وقوانينه التي تكتب له الفرادة الأدبية وبالتالي الكشف عن المعايير والسنن التي تميز الخطاب الأدبي".[5]
إذن الشعرية عند تودوروف هي تلك الخصائص والقوانين التي تميز نصا أدبيا عن الأخر وبالتالي تعمل على تجلي السمات الممكنة التي تصنع فرادة وتميز النص الأدبي، والنص الذي بين أيدينا "أمنا" للشاعر مريد البرغوثي واحد من النصوص التي تنضح بالشعرية وتعميق الرؤيا.
فالعنوان عبارة عن اسم والاسم في اللغة العربية عادة ما يدل على السكون والثبات، إلا أننا نلاحظ أن العنوان "أمنا" هو إثارة من البداية لإحساس المتلقي واستدراجه لاستكناه بنية العنونة، نظرا للحمولة العالية التي يحتويها العنوان وهذا رغم التعارض الموجود بين النص كبنية والمتلقي الذي يحاول كسر أ فق هذا التلقي الذي يسعى إليه صاحب النص ويتعمده والذي يكون عادة غاية "في الإيهام والتضليل".[6]
لذلك فإنه جدير بنا أن نحلل العنوان عبر أكثر من بنية. فلو تأملنا العنوان من حيث البنية الصرفية، ذلك لأن "الصرف علم بأصول تعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء[7] ."

إذن علم الصرف بهذا المعنى يهتم بصيغة الكلمة بمعزل عن الجملة لأن دراستها ضمن الجملة يختص به الإعراب، ذلك أننا لو تأملنا العنوان "أمنا" نجده عبارة عن كلمة واحدة وردت اسما لكنها ألحقت بضمير المتكلم "نا"، وفي هذه الحالة تدخل حالة التركيب حيث أن "للكلمات العربية حالتان: حالة إفراد وحالة تركيب"[8] والاسم "أمنا" نكرة مقترن بضمير المتكلم الجمع "نا" لا تتضمن "أل" التعريف، لكنها في الحقيقة معرفة بالإضافة كونه أضيف لضمير جمع المتكلم "نحن" "نا" الذي يعرب ضميرا متصلا في محل جر مضاف إليه. لذلك يمكن لنا أن نحملها على أكثر من دلالة، فقد توحي بالأم البيولوجية، وقد توحي بالوطن، أو الرقة، الحب...، لذلك بدأت الذات الشاعرة عنوان القصيدة بالاسم حتى يستدرج القارئ في المتن، حيث لجأت إلى التلاعب بمستويات اللغة والأسلوب اللذان تسعى إلى تحقيقهما عبر حركة الأسماء والأفعال والجمل.

ب. شعرية اللغة:

بما أن الشعرية في عمومها هي كل الخصائص التي تصنع فرادة العمل الأدبي كما أشار إليه أغلب النقاد، فإن الشاعر "مريد البرغوثي" لم يدخر جهدا لإثارة إحساس المتلقي والعمل على "خلق الدهشة وبلوغ لذة الذروة الشعرية، وذلك من خلال ارباك القارئ عن طريق جمالية التصوير الشعري الذي يرتكز بدوره على البنى الفاعلة في النص الشعري الذي يفرض سطوته على القارئ وارغامه على انخراط فني لا مشروط".[9]

فالنص الشعري يحمل بذور حياته في طياته، وذلك من خلا ل بنيته اللغوية والتركيبية، التي تعمل فيها الذات الشاعرة على إثارة إحساس المتلقي، حيث يتم ذلك باستدراجه مع تنامي الأحداث في القصيدة، ليكون ذلك عبر مطلعها حيث يقول: تود الخروج إلى كوكب خارج الأرض

لتبدأ القصيدة بالفعل "تود" الذي يعود على الأم التي يقصد بها الأم البيولوجية حينا وفلسطين أحايين أخرى، ليجعل من المقطعين الأولين فضاء شعريا يحاول فيه توظيف تقانة السرد، الذي تحاول فيه الذات الشاعرة اختراق العالم والأشياء، فيزيد ذلك من تنامي الأحداث فتقول:

تود الخروج إلى كوكب خارج الأرض
حتى ترتب عالمها مثلما تشتهي
فهذي البلاد، وهذي الحياة هنا
جعلت كل أشواقها معجزات
تريد لشهقة رائحة الثوم في الظهر
أن تجمع الغائبين
ويدهشها أن بامية الام
أضعف من سطوة الحاكمين
وأن فطائرها في المساء تجف
على شرشف لا تنطنط فيه الأيادي
تصنع الأم فنجان قهوتها، مفردا، في الصباح
وتسأل:
هل يسع الدهر يوما خصومتها للشتات؟[10]

ولعلنا نلاحظ أنه بالرغم أن لفظة الشتات لم تذكر إلا مرة واحدة، إلا أنها جاءت موحية وإيجابية، ذلك أن الأفعال المضارعة "تود، ترتب، تجمع، تدهش..." قد حافظت على دلالتها، فهي مستقرة من حيث الدلالة على الحاضر، وهذا ما لجأت إليه الذات الشاعرة في هذين المقطعين، فالفعل "تود" هو فعل متعد، وما أعقبه من أفعال كلها متعدية، لذلك جاءت كل الجمل مبنية للمعلوم، وهو تقصد من الذات الشاعرة لاقتناص الدلالة وإغناء المعنى، ذلك أنه لا وجود للمجانية في النص الشعري "حيث أن أي تغيير في الكلمة يؤثر مباشرة في الكلمة ودلالتها".[11]

لذلك فقد انعكست دلالة الأفعال على المعنى في هذه القصيدة، فكان ذلك انعكاس على زمن الذاكرة التي تستعيد الأمكنة والأزمنة وتحاول تطويعها لصالح الرؤيا لدى الذات الشاعرة، وذلك عبر قاموس لغوي يجاري نسق الأحداث، فتردف قائلة:

تريد لشهقة رائحة الثوم في الظهر
أن تجمع الغائبين

ويدهشها أن بامية الأم
أضعف من سطوة الحاكمين

فلو تأملنا لفظة "شهقة" مثلا في هذا المقطع للاحظنا أنها لا تساويها لفظة أخرى على الأقل في هذا الموضع، لتجعل الذات الشاعرة من هذه الكلمة محورا لجمع شتات الفلسطينيين، ثم تسترسل في السرد ليفعل فعل الدهشة حركة الأحداث ويوجه حركة الزمن قائلا: ويدهشها أن بامية الأم أضعف من سطوة الحاكمين، وأن فطائرها في المساء تجف على شرشف لا تنطنط فيه الأيادي... ثم تتوقف فجأة عن السرد لتباغت المتلقي بسؤال، وذلك عبر صورة الأم التي تصنع قهوة الصباح، وذلك بواسطة تخصيب الحكي الذي يضمن حياة النص الشعري فيقول:

تضع الأم فنجان قهوتها، مفردا، في الصباح
وتسأل:
هل يسع الدهر يوما خصومتها للشتات؟

فبعد أن تجسد الذات الشاعرة الأحداث عبر تقانة السرد، التي تحققت عن طريق اللغة التي تحقق بدورها مقصدية الذات الشاعرة وذلك للجوء الشاعر الحداثي بصوته الذاتي المفرد والمتفرد لخلق مساحة لمراوغة المعنى لدى المتلقي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يسعى من خلال هذه المراوغة إلى التمرد على هاجس القلق والشك الذي يطبع حياته اليومية.

وهذا ما تحقق في هذا المقطع عن طريق رذاذ اللغة، وكأن نهايته هي تحصيل حاصل لبدايته، ذلك أن الفعل "تريد" الذي جاء بعد الفعل "تود"، الذي يفيد الرغبة دون تحقيقها، فالأم تريد أن تجمع الغائبين حول مائدة الود لكنها هيهات لا ولن تتحقق وهذا ما عبرت عنه الشاعر في قوله:

وأن فطائرها في المساء تجف
تجف على شرشف لا تنطنط فيه الأيادي
وهل تسع الأرض خصومتها للشتات؟

وبالتالي توقف الذات الشاعرة أسلوب الحكي الممزوج بتقانة السرد المتمثل في تنامي الزمن عبر هذين المقطعين بترتيب غير منطقي نوعا ما "الظهر، المساء، الصبح"، وربما يعبر هذا عن مدى تشويش العالم النفسي والاجتماعي لدى الفرد الفلسطيني في الشتات، وبالتالي فإن هذه اللخبطة في الأحداث هي في حد ذاتها تعبر عن شتات وتمزق الذات لدى الفرد الفلسطيني، بينما ما تريده الذات الشاعرة من خلال هذا الترتيب الّا منطقي هو كسر التراتبية الزمنية، وهذا ما يدفع بالأحداث نحو التأزم ضمن قوة سردية مشحونة ببوح الذات الشاعرة. مما يساعد على تمظهر هذه الذات داخل المشهد الشعري.

الظهر ← المساء ← العصر ← الصبح.

ولعلنا نلحظ أن هذه الأزمنة، قد فعلتها حركة الأحداث التي صاحبتها لتزيد من فاعلية الحركة داخل النص الشعري، وهذا ما يوسع أفق التلقي لدى القارئ، فتحقق ذلك عبر الأحداث الآتية:

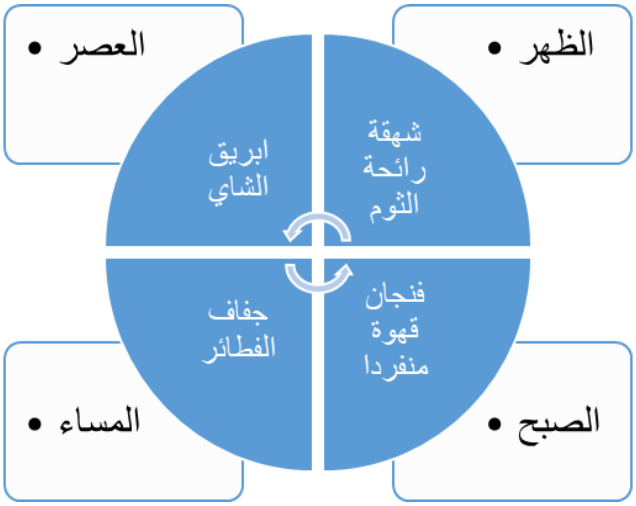

تمثيل تخطيطي يمثل حركة الزمن ودوره في تحريك الأحداث

ولعلنا نلاحظ من خلال هذه الأحداث أن الذات الشاعرة، سعت من خلال اللغة وتوظيف حقولها الدلالية التي سايرت المشهد الشعري في هذين المقطعين، أن تجسد ظاهرة الشتات عبر قاموس لغوي متعدد الدلالة، فبالرغم أن هذه الكلمة "الشتات" لم تذكر بشكل صريح إلا في موضع واحد، إلا أنها ووردت بمعان أخرى مثل "الانشطار ،الجفاف ،الخروج ،الحصار، المنافي ..."، وهذا ما ساهم في خلق مشاهد تصويرية، وذلك عن طريق

تصوير مشاهد من حياة الفلسطينيين خارج بلدهم الأم فلسطين، فما لم يتحقق في الواقع سعت الذات الشاعرة إلى تحقيقه عن طريق اللغة، التي تحققت بدورها عن طريق تكثيف تقنية السرد (الزمان، المكان، الأحداث) فكان ذلك فاعلا حقيقيا في تعزيز المشهد الشعوري عن طريق "اللغة وتركيز أداءها التشكيلي من طرف شعرية التعبير"[12] في هذا النص الشعري.

2.2 شعرية التكرار:

هنا محتوى ما من شك أنّ التكرار ظاهرة من الظواهر الفنية والجمالية، وتقنية من التقنيات البارزة في الشعر العربي عموما والمعاصر بصورة خاصة، وذلك لما عرفته القصيدة العربية من تغيرات على مستوى الرؤيا والتشكيل. خاصة بعد تيار الحداثة، الذي جعل القصيدة الحداثية تدخل عوالم أرحب ما جعل للشاعر الحداثي حرية تجلت على مستوى الجوانب النفسية والجمالية في القصيدة.

وقد تجلت هذه الظاهرة في هذا النص الشعري "أمنا" لمريد البرغوثي الذي لجأ إلى هذه الظاهرة اللغوية، وذلك لما تستدعيه الضرورة الفنية، نظرا لما هذه الظاهرة "التكرار" من قيمة جمالية تولد لحظة التشبع الفني ونضج التجربة لدى الشاعر الحداثي، حيث تسهم هذه الظاهرة "وذلك لما لها من أهمية بالغة في إثراء النص الشعري الحداثي لذي يزخر بزخم دلالي، فيتفرد النص حينها بجمالية وفعالية لافتة ".[13]

إذن فمشروع الحداثة جاء ليعطي أكثر حرية للشاعر الحداثي، ا لذي لم يتوان بدوره في التأسيس لشعرية حداثية، تنبع من أناه الشعورية، لتتجسد على جسد القصيدة، والتكرار إحدى هذه القيم التي أغنت المعنى في القصيدة الحداثية لتضحى أكثر عمقا ودلالة ورسوخا. وهذا ما سعت إليه الذات الشاعرة في هذا النص.

أ. تكرار الكلمة:

بما أن للتكرار قيمة جمالية نفسية تهدف إلى إضفاء صبغة وجدانية وجمالية يتركها الشاعر على جسد القصيدة الحدثية، فإن الذات الشاعرة في هذه القصيدة سعت إلى الاتكاء على هذه التقنية، وذلك لما تمثله من أبعاد نفسية، دلالية وجمالية و انفتاح دلالي غير متناه، يكسر أفق التلقي لدى القارئ الحداثي الذي يسعى بدوره إلى الكشف عن عمق التجربة الشعرية لدى الشاعر، وذلك لما يمثله من تشظي الأفق التخييلي، وعمق الرؤية لدى المتلقي في قراءته للنص الشعري، ليلج إلى خباياه محاولا الكشف عن الدلالة وكثافة المعنى، ومن ضمن هذه الدلالات تكرار لفظة (حيث) في المقطع الثالث من القصيدة: وكلمة

حيث في اللغة العربية هي ظرف مكان مبني على الضم، وقد جاء تكرار هذه اللفظة متتابعا حينا، ومتقطعا حينا آخر، فالمتتابع منها أورده الشاعر في مقطع بكامله قائلا:

تود الخروج إلى كوكب خارج الأرض
حيث الفطام حرام
وحيث الطفولة تمتد للأربعين
وحيث زواج البنين جميل جميل
وحيث الكنائن أخفض صوتا وأعلى امتثالا
وحيث الجهات جميعا تؤدي إلى مرفأ الصدر

وأكيد أن هذا التكرار في هذا المقام ليس مجانيا، كونه ورد متتابعا في مقطع بكامله تقريبا، وهي قصدية من الذات الشاعرة لإثارة المتلقي على كل المستويات، لذلك نلاحظ أن لفظة (حيث) تصدرت كل الجمل في هذا المقطع، وهي جمل إسمية، والجمل الإسمية في اللغة العربية تدل على الثبات والسكون، إلّا أن الذات الشاعرة جعلتها عكس ذلك ليحرك فضاء النص الشعري عبر هذه اللفظة التي جاءت معبرة عن قلق وتوتر هذه الأخيرة التي تتوق إلى تحقيق حلم العودة إلى الوطن، فجعل من لفظة حيث (مكانا) ومركزا لالتقاء الأماني التي كسرها الشتات، فعملت هذه اللفظة على تخصيب النص الشعري خاصة في هذا المقطع، لذلك فقط أعطت النص منحى تأثيريا "تكشف عن قدرة هائلة على التركيز والتكثيف وتطويع الأدوات وتسخير كادرها لاستيعاب حرارة التجربة ووحشيتها"[14] لدى الذات الشاعرة، وهي بمثابة دفقه شعورية جاءت دفعة واحدة لتعبر عن دلالة الانكسارات والأحزان التي حالت دون تحقيق آمال الفلسطينيين في الشتات، فكانت لفظة "حيث" الظرفية بمثابة الصخرة التي تكسرت عليها كل أماني الشعب الفلسطيني بعيدا عن بلدهم الأم، وبالتالي فقد لعب التكرار كظاهرة من خلال هذه اللفظة "حيث" دورا بارزا في تجسيد "الشتات" كنتيجة تمخضت عن هذه اللفظة، فهو تكرار إيجابي عكس محنة الفرد الفلسطيني الذي يكابد الغربة والاغتراب. وفيما يلي تمثيل بياني يوضح هذه الدلالة:

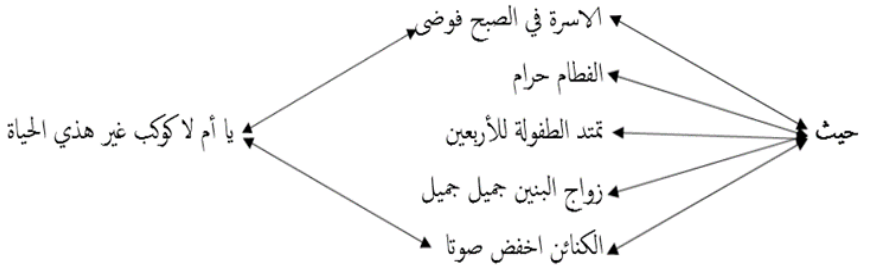

ب. تكرار شعرية الجملة الافتتاحية:

أو ما يسمى بالتكرار الاستهلالي، ونمثل لذلك في القصيدة بتكرار الجملة التي افتتح بها الشاعر القصيدة وهي قوله: "تود الخروج إلى كوكب خارج الأرض، هذه الجملة التي أوردها الشاعر في بداية كل المقاطع عدا المقطع الثاني، وأكيد أن هذا التكرار الاستهلالي يشي بالكثير _ كون الفعل "تود" تصدر الجملة الفعلية، والفعل(يود) أو (تود) كما جاء في هذه الجملة يوحي بالكثير من الانفعالات، كونه فعلا يبعث على تحقيق الأماني التي أصبحت شبه مستحيلة، وهذا ما توضحه بقية الجمل التي تلي هذه الجملة.

وهذه أيضا قصدية من الذات الشاعرة للفت انتباه القارئ وتطويع ذائقته الشعرية بصورة عفوية إلى كشف الدلالة من خلال هذه العبارة في بداية كل سطر من كل مقطع، وذلك من خلال اللغة التي ينتقيها الشاعر بدقة متناهية لبناء نصه الشعري لذلك "يشترط في هذا التكرار أن يكون إيجابيا في توجيه النص ومقصدية الشاعر، فيتولد عنها تفجير الطاقة الإبداعية للذات الشاعرة، وإلا سيكون التكرار في هذه الحالة إعادة تسقط في فخ الرتابة والمباشرة الآسنة"[15]. وهذا ما سعت إليه الذات الشاعرة، حيث جعلت من إعادة هذه الجملة في بداية كل مقطع _ إشراك القارئ، الذي جعلته يعيش بصورة عفوية عدد الأمنيات التي تكررت بعدد الخيبات التي أجهضت مشروع العودة إلى الوطن الأم حيث يقول على سبيل المثال في المقطعين الرابع والخامس:

تود الخروج إلى كوكب خارج الأرض

تستقبلان ولا تعرفان الوداع

تريد من الطائرات الرجوع فقط
والمطارات للعائدين،
تحط بها ثم لا تقلع، الطائرات
******
تود الخروج الى كوكب خارج الأرض
حيث الوطن
سيحتاج دمعا أقل وموتا أقل
لكي تلمس الكف أشجاره
دون مؤتمر دولي ودون حصار
ودون اعتبار الطحين من الأمنيات
****

ففي هذين المقطعين سيل جارف من الأمنيات، إذ يعمق التكرار من حجم المأساة لدى الذات الشاعرة، هذه الفجيعة التي تؤجل اللقاء إلى إشعار لاحق، وهذا ما يتجلى في قوله :

ولنا أن نعيش. هنا، هكذا، مثلنا.
مثل من لاحقوه طويلا
.....
في مواجهة الهول كي يتدبر أمر النجاة

وفي هذا المقطع مشهد درامي تترجمه هذه الكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد، وهو حقل الحزن والمأساة: تدفن/ المنافي/ الموت/ الهول/ الرصاص... وكلها دلالات تدفع بالحدث الشعري في القصيدة إلى زيادة حركة الإيقاع، الذي يضاعف طاقة الإحساس والتخييل والتماهي مع درامية الحدث.

وفي هذه المقاطع الذي طعمها الشاعر بهذه الدوال التي تزيد من تعميق الرؤيا بواسطة التكرار، الذي يعمل فيها على تدعيم تقانة السرد، ليصل إلى ذروة الدلالة في

القصيدة، حيث عملت هذه التراكيب على تكثيف الدلالة التي أدت بدورها إلى تماهي المتلقي مع درامية المشهد.

3. خاتمة:

ولعلنا نصل من خلال دراستنا لهذه القصيدة أن الشتات كلمة طبعت الكثير من النصوص الشعرية الفلسطينية، وهي في الحقيقة نصوص أملتها التجربة _أي تجربة الشتات التي عاشها الفلسطينيون في شتى بقاع العالم، مما أوجد في المقابل دراسات نقدية أملاها الوعي بهذه التجربة، وهو ما دفعنا كقراء إلى تقصي هذه التجربة من خلال قصيدة (أمنا) لمريد البرغوثي والتي توصلنا من خلالها إلى ما يلي.

• إن شعرية القصيدة العربية المعاصرة هو في الحقيقة نتيجة لمخاض أفرزته الدراسات الحداثية وما بعد الحداثية، وهو ما تجسد في هذا النص الشعري حيث كان نصا يطفح بالشعرية نظرا لما يتضمنه من مجازات وإيحاءات وصور فنية.

• إن محاولة الخوض في نصوص شعرية تخص تجربة الشتات، إنما هو في الحقيقة بحث عن ذات الشاعر الضائعة بين طيات هذه النصوص، كونه يعيش هذه التجربة (الشتات) تجربة الهجرة والتهجير والاقتلاع، وبالتالي فهو يبحث عنها بإحساس خاص، وألم مضاعف، ليضعها أخيرا تحت مجهر الحقيقة ويحاول نقلها للقارئ عن طريق ذاته المتشظية بين السطور.

• إن اتكاء الشاعر على مثل هذه النصوص التي تعبر عن الواقع وتحاول رصده عبر القصيدة إنما هو في الحقيقة تعبير عن نضج الوعي وعمق التجربة لدى هؤلاء.

• أيضا من جملة الاستنتاجات التي يمكن استنباطها في هذه القصيدة هو أنه بالرغم من أن كلمة (الشتات) لم تتكرر كثيرا في هذا النص، إلا أنها وردت بعدة معان ك الانتشار، الضياع، الجفاف...

وهذا ما يسعى إليه الشاعر الحداثي بصفة عامة، حيث يسعى إلى استحداث آليات عالية المستوى لبناء ملاءمة فنية، تظهر عبر تطويعه لأداة التشكيل الشعري الأولى وهي اللغة

الهوامش:

[1]تزيفطان تودوروف، الشعرية، تر، شكري الميخوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر، المغرب، 1987، ص23.

[2]ينظر، أرسطو، فن الشعر، ط2، إبراهيم حمادة، دار الكتاب الغربي، القاهرة، 1967، ص24.

[3]محمد صلاح أبو حميدة، عناصر الشعرية عند حازم القرطاجي، جامعة الأزهار عزة، 2002، ص11.

[4]ينظر، محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطنا للاتصال، المصرية العامة للكتاب، 1998، ص10.

[5]ينظر، تزيفطان تودوروف، الشعرية، تر، شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر، المغرب، 1987، ص23.

[6]آمنة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفيفي المناهج النقدية المعاصرة، ط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص.

[7]مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ط1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1994، ص8.

[8]صلاح سعد امحمد الميلطي، مريد نعيم، أنسنة الأفعال وحقولها الدلالية في لامية العرب للشنفرى، مجلة جامعة سبها "العلوم الإنسانية"، مج10، جامعة دمشق 2011، ص86.

[9]صلاح سعد امحمد الميلطي، مريد نعيم، أنسنة الأفعال وحقولها الدلالية في لامية العرب للشنفرى، مجلة جامعة سبها "العلوم الإنسانية"، مج10، جامعة دمشق 2011، ص86.

[10]محمد صابر عبيد، إشكالية التعبير الشعري "كفاءة التأويل"، ط1، وزارة الثقافة الأردنية، 2007، ص41.

[11]عصام شرتح، مضمرات الخطاب الأدونيسي، ص72.

[12]محمد صابر عبيد، إشكالية التعبير الشعري، ص55.

[13]محمد صابر عبيد، إشكالية التعبير الشعري، ص55.

[14] محمد صابر عبيد، إشكالية التعبير الشعري، ص118.

[15]ينظر، دلال عنبتاوي، ظاهرة التكرار في قصائد نضال القاسم، الموقع الإلكتروني:
https://alrai.com/article/10427274

قائمة المراجع:

1 تزيفيطان تودوروف، 1987، الشعرية، دط، المغرب، دار تويقال للنشر والتوزيع، ص23.

2 أرسطو، 1967، فن الشعر، ط2، القاهرة، دار الكتاب الغربي، ص24.

3 محمد، فكري الجزار، 1998، العنوان وسيميوطيقا الاتصال، دط، القاهرة، المصرية العامة للكتاب، ص10.

4 آمنة بلعلى، 2010، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص

5 مصطفى الغلايي، 1994، جامع الدروس العربية، ط1، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ص8.

6عصام شرتح، 2018، مضمرات الخطاب الأدونيسي، ط1، دار ابن شاطئ للتوزيع، ص73.

7 مريد البرغوثي، 1972، طال الشتات، ط1، المغرب، دار الكلمة للنشر، ص25.

8 محمد صابر عبيد، 2007، إشكالية التعبير الشعري، ط1، عمان، وزارة الثقافة الأردنية، ص41.

9 حميدة قادوم، 2016، فاعلية التكرار في الشعر العربي الحديث، ط1، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ص49.

10 صلاح سعد، محمد المليطي، 2011، أبنية الأفعال وحقولها الدلالية في لامية العرب للشنفرى، مجلة جامعة سبها، جامعة دمشق، مج10، العدد 2، ص86.

11 دلال عنبتاوي، 2018/03/03، ظاهرة التكرار في قصائد نضال القاسم، 2024/03/21، https://alrai.com/article/10427274